الوصف في مجموعة قصص (أحاديث القرية) لمارون عبود

م.د. بسام خلف سليمان الحمداني *

تأريخ التقديم: ٢٠١٣/٦/١٠ تأريخ القبول: ٢٠١٣/٧/١٥

ملخص البحث:

يعد الأديب (مارون عبود) من أبرز كتاب القصة في لبنان، إذ استطاع بموهبته الفنية توظيف تقانة الوصف لتشكيل الوحدات السردية الوصفية لكي يستدرج القارئ إلى الإصغاء لصوته؛ لذا جاء هذا البحث ليجري دراسته على هذه التقانة عبر كشف المقاطع الوصفية وبيان مستوياتها الفنية والجمالية وحيويتها ومشابهتها للواقع.

بني البحث على مدخل وأربعة مباحث، اعتماداً على تقسيمات عبد اللطيف محفوظ في كتابه (وظيفة الوصف في الرواية) إذ جاء المدخل لتحديد مفهوم الوصف وتمظهراته بالسرد الذي شكل مؤثراً من المؤثرات التي تنهض عليها القصة، واختص المبحث الأول بدراسة (الوصف المقيد بالسرد) من حيث السرد الوصفي والوصف الموجه من السرد بأشكاله الثلاثة: الوصف البسيط، والوصف المركب، والوصف الانتشاري. في حين قام المبحث الثاني بدراسة (الوصف الحر) بوصفه فن توزيع المعلومات الموصوفة حول الأشياء من حيث الوصف الدال على انفعال داخلي، والوصف الممهد للحدث الذي ينتظم حول فعل كلامي، والوصف الدال على الحدث الذي تسرد فيه أحداث القصة. وجاء المبحث الثالث لدراسة (الوصف التصنيفي) الذي يذكر معظم أجزاء الموصوف عبر المقاطع الوصفية الطويلة، في حين تناول المبحث الرابع (الوصف التعبيري) الذي يشكل الشخصية ويرسم ملامحها الخارجية من دون الولوج إلى التفاصيل الدقيقة.

حدود الوصف وتمظهراته بالسرد:

يشكل الوصف النواة الأولى الذي يسهم في تشكيل الفنون الأدبية كافة عبر رسم لوحات بصرية وسمعية للطبيعة أو للصفات الإنسانية فهو في الفنون الأدبية " أسلوب إنشائي يتناول

* كلية التربية الرياضية / جامعة الموصل.

ذكر الأشياء في مظهرها الحسي ويقدمها للعين"[١] ليقوم الوصف بعكس " الصورة الخارجية لحال من الأحوال، أو لهيئة من الهيئات، فيحولها من صورتها المادية القابعة في العالم الخارجي، إلى صورة أدبية قوامها نسج اللغة وجمالها تشكيل الأسلوب"[٢] ليشكل الأشياء " والكائنات، والمواقف، والأحداث في وجودها المكاني عوضاً عن وجودها الزمني، وفي أدائها لوظيفتها الطوبولوجية عوضا عن وظيفتها الكرونولوجية، وفي تزامنها، وليس تتابعها الزمني"[٣]، والهدف الأساس من اهتمام الكتاب بالوصف هو تقريب صور الشخصيات أو الأشياء أو الأماكن وتشكيلها من خلال " استقراء الظواهر المميزة لمكان طبيعي حقيقي أو مصنوع من الخيال، وتتبع الجزئيات، كما يقوم على استخدام الحواس ولاسيما النظر والسمع لملاحظة الأشكال والألوان والحركات والأصوات"[٤] ليشكل الوصف " نظاماً أو نسقاً من الرموز والقواعد يستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات أي مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية"[٥].

ويسعى الوصف إلى تشكيل الصور عبر قوانين اللغة الأدبية على وفق الانزياح والتكثيف، متجاوزاً المطابقة مع الواقع[٦]، ليسهم في " تحديد إطار الأحداث والشخصيات،

(١) بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا احمد قاسم، دار التنوير للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٥م: ٧٩.

(٢) في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م: ٢٤٥.

(٣) قاموس السرديات، جيرالد برنس، ترجمة : السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، ط١، القاهرة، ٢٠٠٣م:٤٣.

(٤) دراسات في الأدب والنقد، عيسى فتوح، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩١م: ٦٩.

(٥) ضحك كالبكاء، إدريس الناقوري، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٦م:٢١٧.

(٦) ينظر: شعرية المكان في الرواية الجديدة، الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً، خالد حسين حسين، كتاب الرياض، العدد (٨٣)، مطابع مؤسسة اليمامة، الرياض، ٢٠٠٠م:١٢١. وينظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان ، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٣م: ٧٨.

ووسيلة لإبراز ملامح الإنسان ونقل تفاصيل واقعة والأشياء التي تربط به، وقد كان لذلك أثره في شد الأحداث والشخصيات إلى أماكن وأزمنة معروفة "[١].

يرتبط الوصف بالفنون التشكيلية إذ تتفاعل هذه الفنون لإبراز الوصف بشكل مميز، فهو يفصح عن رسم لوحات معبّرة عن القدرة التعبيرية للكاتب؛ لأن الوصف الأدبي يقدم صورة العالم الخارجي في لوحة فنية تشكلها الكلمات[٢].

وحظي الوصف بمكانة رفيعة بين عناصر العمل الفني من خلال اهتمام النقاد به ولاسيما في النقد الحديث، فهو يمثل " الخطاب الذي ينصب على ما هو جغرافي أو شيئي أو مظهري فيزيونومي.. سواء أكان ينصب على الداخل أو الخارج، ويمكن أن يحضر الوصف في شكل دليل مفرد أو شكل دليل مركب، أو جملة أو متتالية من الجمل "[٣] ليقوم الوصف بتأثيث الجو العام للأحداث بوصفه " فاعلية بصرية ومشهدية وهذا المجال الواسع الذي ترتع فيه العين وتمارس من خلاله وظيفتها "[٤] ليصبح الوصف بذلك " وسيلة لاستخلاص فكرة الشيء الموصوف وتحويلها إلى صورة، وتختلف هذه الصورة تبعاً لهوية الواصف وزاوية رؤيته والمدى الفاصل بين الواصف وموضوع وصفه والزمن المستغرق في العملية الوصفية "[٥].

يسهم الوصف والسرد في بناء العمل القصصي بوصفهما عنصرين أساسيين متلازمين ينفثان الفاعلية الدرامية من خلال " التخييل الذي يولده السرد، والتجسيد الذي يقدمه الوصف"[٦] لتظهر بقية العناصر الأخرى، وتتشكل ملامح العمل القصصي؛ وبذلك يكون

(١) الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٠م: ١٧٦.

(٢) ينظر: بناء الرواية: ١٥١.

(٣) وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، دار اليسر للنشر، المغرب، ١٩٨٩م: ٦.

(٤) بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت – لبنان، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٠م:١٨٠.

(٥) الشخصية في أدب جبرا إبراهيم جبرا الروائي (دراسة فنية)، فاطمة بدر حسين، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ١٩٩٩م: ١٣.

(٦) مدخل تحديد خطاب الرحلة العربية، سعيد يقطين، مجلة الأقلام، العدد (٥-٦) لسنة ١٩٩٣: ٧٥.

الوصف عنصراً مسهماً في تشييد النص الأدبي وإعطاء أبعاده الدلالية[١] التي تعمل على تشكيل الشيء المدرك؛ لا بل قد تعمد إلى إضفاء حركة قرائية تشويقية على المشاهد التي يصفها لأنه " لا يأتي بلا مسوغ؛ بل إن كل مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية، وله أثر مباشر وغير مباشر في تطوير الحدث"[٢] فضلاً عن أهمية الوصف في نمو الحدث وتطوره عبر تفاعل الشخصية إذ يعمل الوصف على إظهار هذه الشخصيات وإسهامه في تشكيل البناء المكاني في العمل القصصي.

المبحث الأول: الوصف المقيد بالسرد

١- السرد الوصفي:

إن لاقتران الوصف بالسرد وظيفة دلالية، يكشف عنها النص القصصي ويحدد مسارها، لتتولد بنيات جديدة على مستوى تشكيل نصٍ متفاعل بين اللغة الجديدة وحداثة السرد عبر " وجود أفعال حركية ووصفية في آن واحد، وهذه الأفعال تخضع في عملية تحققها كتابياً لنفس القوانين المتحكمة في إنتاج كل عملية وصفية... إن كل حدث يمكن التعبير عنه بوساطة عدد من الأفعال التي تناسبه. ولذلك فإن اختيار فعل بعينه هو انتقاء لحالة وصفية تحدد نوعية الحدث أو نوعية الوعي به أو التفاعل معه حتى نجابه مع كل فعل عملية وصفية دائبة في العملية السردية أو خاضعة لها "[٣].

إذ يتكئ الفن القصصي على مجموعة من الأحداث المختلفة التي تشكلها المفارقة من خلال الأفعال السردية وطرائق سردها وتركيبها " فتكثر الأفعال التي تدل على الحالة، مكونة حقلاً دلالياً قوامه الصفات التي تدل على الأوضاع الفيزيولوجية والنفسية والأشخاص.. كما أن الوصف يُري الأشياء أكانت موسيقية، أم لونية، ويحدّد المواقع ويكشف الرابط بين الشخص والطبيعة ويطلق الخيال"[٤] لتتمظهر مكونات الفن القصصي في

(١) ينظر: بنية الشكل الروائي: ١٧٨.

(٢) بناء الرواية: ٨٣.

(٣) وظيفة الوصف في الرواية: ٣٠.

(٤) الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، موريس أبو ناضر، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩م:١٣٣.

بناء العلاقات فيما بينها من خلال السرد الوصفي الذي يعمل على تحريك وجودها وصيرورة مكوناتها لتكون علاقات " إما بسيطة أو معقدة في تواترها بحيث تتبادل التأثير فيما بينها، هذه الوحدات السردية هي عبارة عن تعاقب جمل نحوية بسيطة، أما الفواعل في هذه الجمل فتتمثل في اكتساب حالات أو حصول على مواضيع أو قيام بأفعال"[١] يصورها السرد الوصفي:((**شيخ مُنَوْدل ينوس كرقاص الساعة. نسي الشك والفزع حين تدفأ، ولذعته النار قليلاً، فتجهم وجهه وانقبض، كأنه رأى في الموقد نار جهنم، تذكّر عواقبه الأربع فارتاع وانكمش، وعلا اللهيب فخال انه يرى من خلاله شبابيك الجنة مفتوحة مضاءة. فتهلل وتذكر عليقة موسى التي اشتعلت ولم تحترق.. فانحرف فكره عن نيران الجحيم. إذن في النار ذكريات طيبة للمؤمنين. فما باله، وهو الرجل الصالح الذي راض نفسه على الفضائل... يفكر في هذه الأفكار السوداء**))[٢].

ينفتح المقطع الوصفي عبر الجمل السردية المتدفقة لتشكل الصور الوصفية، ومن خلال تلك الأفعال التي منها ما ينسب إلى الشيخ ومنها ما ينسب إلى اللهيب وأخرى لعليقة موسى، فمن الأفعال الدالة على وصف الشخصية (ينوس، ينسى، تدفأ، لذعته، تجهم، انقبض، تذكر، ارتاع، انكمش، خال، يرى، تهلل، تذكر، انحرف، يفكر) وتدل هذه الأفعال على البعد النفسي لشخصية الشيخ الذي يبحث في أفكار بعيدة عن واقعه الذي يحياه وهو الصلاح واتسامه بالفضائل. أما الأفعال التي تدل على اللهيب والنار (علا) والتي تدل على عليقة موسى (اشتعلت، تحترق) كما ترافقت الضمائر المتصلة التي تعود إلى شخصية الشيخ مع الأفعال (لذعته، وجهه، عواقبه، فكره، باله، نفسه) فالتحما في خدمة الوصف ووضع الحدث ونموه وتطوره إلى الأمام، إذ أدرك الشيخ بعد ذلك أن الأفكار السوداء التي يفكر فيها من وسوسة الشيطان الذي يقطع أمله ويزعزع إيمانه في أخريات حياته فلابد أن يبتعد عنها بالصلاة بعد الخروج من جو تلك الأفكار السوداء.

---

(١) مدخل إلى نظرية السرد عند غريماس: عبد العزيز بن عرفه، مجلة الفكر العربي المعاصر، العددان(٤٤-٤٥)، لسنة ١٩٨٧م: ٢٦.

(٢) أحاديث القرية: أقاصيص وذكريات، مارون عبود، دار الثقافة، ط٢، بيروت، ١٩٦٣م:٣١.

ومن الأمثلة الأخرى للسرد الوصفي: ((**وبينما كانت تلك الأفكار تتنازعه قبض على المسدس وهمّ بإطلاقه، ولكنه عدل عما صمم عليه. أراد أن يكون ختام المأساة التي مثلتها زوجته الخائنة أكثر عنفاً وهولاً. مرّت في خاطره فكرة عابرة لم يلبث أن ابتسم لها ابتسامة رضى. فالخطة التي كاد أن ينفذها لا ترضي أنفته وإباءه. إذن يذبحها ذبحاً ويتركها تتخبط في دمها طوال الليل. ستصرخ وتبكي وتولول طالبة النجدة. ولكن من يسمع في هذه الليلة الصاخبة**))[1].

ويكتظ المشهد الوصفي بأفعال عدة تدل على شخصية سعيد الذي هدرت كرامته بخيانة زوجته وترافقت مع الأفعال الضمائر المتصلة، فمن الأفعال (تنتازعه، عدل، صمم، أراد، يلبث، أبتسم، ينفذها، يتركها، يذبحها) وهذه الأفعال تصور الحدث الذي سيقوم به سعيد عندما يثأر من زوجته. كما برزت أفعال تدل على شخصية الزوجة (تتخبط، ستصرخ، تبكي، تولول) أما الضمائر المتصلة فهي الهاء (تنتازعه، خطره، فكره، ينفذها، أنفته، إباءه) التي تعود لسعيد والتي أسهمت في إثراء الوصف ومن ثم تحرك الحدث وتطوره؛ لأنّ حركية الحدث تتلازم مع التقدم الحاصل في الوصف، إذ إن سعيداً قد انساق إلى وساوس الشيطان وما لبث أن أدرك أن زوجته طيبة القلب ولا يمكن أن تخونه مع أحد فقلع عن الأفكار الغريبة.

٢- الوصف الموجه من السرد:

يشكل الوصف والسرد البؤرة المركزية التي يتمحور حولها السارد لبناء شبكة من العلاقات والربط بين أجزاء النص القصصي وتتابعها تتابعاً متيناً[2] من خلال " التداخل بين الوصف والسرد فيما يمكن أن نسميه بالصورة السردية وهي الصورة التي تعرض الأشياء متحركة "[3] إذ يسعى السارد إلى تقديم الشخصيات والأماكن التي تشكل الأحداث عن طريق السرد الذي يفسح المجال أمام العملية الوصفية الذي " يركز على إبراز الأحداث والأعمال

(١) أحاديث القرية: ٥٢.

(٢) ينظر: تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية، شربيط أحمد شربيط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م: ٣٠.

(٣) بناء الرواية: ٨٣.

في بعديها الزمني والمأساوي. أما الوصف فهو على العكس من السرد لا يأخذ بعين الاعتبار الأحداث والأعمال التي تتضمنها القصة، إنما يسعى إلى الكشف عن الأشياء ومكوناتها والأشخاص وطباعها الخلقية "[١] وبذلك لا يقدر السرد على تأسيس كيانه من دون وصف، ولكن يجوز للوصف أن يكون مستقلاً عن السرد[٢].

أ- الوصف البسيط:

يركز الوصف البسيط على الجمل الوصفية القصيرة ذات التراكيب البسيطة التي يسعى الواصف من خلالها إلى تقريب الواقع والخيال ليمثل واقعه القصصي المتكئ على السرد في توليد الأحداث المتلاحمة مع بقية الإشارات الوصفية الأخرى المتعلقة بالشخصيات والأمكنة والأزمنة لتشكل الواقع الإنساني تشكيلاً فنياً قائماً على استيعاب هذا الواقع وفهم معانيه المتعددة للتأكيد على أن الكاتب القصصي أحاط بجوانب موضوعه إحاطة تتميز بالكشف والمعرفة[٣] ليشكل وصف الشخصية عبر الإشارات الوصفية البسيطة في كشف ملامح الشخصية :((**وكانت امرأة طاعنة في السن من نساء القرية تنظر إلى زوجها الشيخ، وتصر شفتيها وتسكت كلما سمعت ما يقول الناس عن الشدياق**))[٤].

يقدم النص الوصفي البسيط الشخصية من خلال الآتي:

١- تحديد جنسها (امرأته).

٢- تحديد عمرها (وطاعنة في السن).

٣- تحديد محل سكنها (من نساء القرية).

٤- تحديد الحدث الذي قامت به على التوالي: (النظر إلى زوجها، صر شفتيها، السكوت عند السماع).

---

(١) الألسنية والنقد الأدبي: ٣٢- ٣٣.

(٢) ينظر: حدود السرد، جيرار جينت، ترجمة: بنعيسى بوحمالة، مجلة آفاق (المغربية) العددان (٨-٩) لسنة ١٩٨٨م: ٥٩.

(٣) ينظر: الوهم والكتابة، أفكار في الهم الثقافي، موسى كريدي، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م: ٨٧- ٨٨.

(٤) أحاديث القرية: ٢٨.

وبهذا يسهم الوصف في رسم أبعاد الشخصية عبر تصوير استئناس الشخصية/ الزوجة بما تسمع من حديث عن الشدياق من كلام الناس؛ لذا آثرت السكوت رغبة في تحقيق استمرارية للحديث. وبذلك أعطى الوصف دلالة اجتماعية من خلال التعبيرات المتحققة عبر الشخصيات.

ومن الشواهد أيضاً ما نلمسه في النص الآتي:**((كأنه مخطوط بالميل إذا دخل القرش عبه لا يقدر أحد أن يخرجه منه. حبس مؤبد، أمس طلب منه أخوه خمسة قروش فقامت قيامته، كان جوابه: من يكسر حق الفدان؟ حق الفدان مثل مال الوقف، لا تقربوا صوبه))** [١].

يقدم النص الوصفي البسيط شخصية منصور الفلاح الخبير بتنقية الأشجار من خلال الأوصاف النفسية والجسدية والسلوكية الآتية:

١- وصف هيئته بالضعف والهزل وطول القامة.

٢- وصف شخصيته بالبخل لحرصه على جمع المال وعدم صرفه.

٣- وصف طبعه المتعنت بعدم السماح لأحد بالتدخل في أموره.

وعليه قدم هذا الوصف الشخصية بكلمات قليلة مما له الأثر في إعطاء الدلالة الاجتماعية في القرية التي يعيش فيها حتى لا ينصرف الذهن إلى أوصاف أخرى لهذه الشخصية يسعى الوصف إلى تحديدها وإبرازها بشكل واضح.

ب – الوصف المركب:

يهيمن هذا الوصف على الشيء الموصوف بوساطة السرد شريطة أن يكون " هذا الوصف معقداً، إما بفضل الانتقال من الموصوف إلى أجزائه ومكوناته، أو بالانتقال إلى المحيط الضام لهذا الموصوف أو المضموم ضمنه"[٢] ليشكل الوصف " نوعاً من المداولة بين الوضع المتحرك للشخصية (الصورة السردية) وبين وضعها الساكن (الصورة الوصفية) بصفة أساسية وفي ثنايا ذلك تأتي الصور الحوارية لتدفع – في الغالب– بالسياق الوصفي السردي إلى الأمام"[٣] ليكون الوصف الخيط الجامع والمحرك لعناصر العمل القصصي

(١) أحاديث القرية: ٤١.

(٢) وظيفة الوصف في الرواية: ٣٣.

(٣) بناء الشخصية الرئيسة في روايات نجيب محفوظ، د. بدوي عثمان، دار الحداثة، (د. ط) ، بيروت، ١٩٨٦م: ١١– ١٢.

وبذلك يحتاج هذا النوع من الوصف إلى تلازم السرد ولاسيما في الكشف عن الشخصيات والأمكنة التي تتحرك فيها.

ونلمس هذا الوصف المركب في: ((**الأرملة (مارينا) من (عين كفاع)، بيتها عليّة مؤلفة من أربع غرف وبهو، مسقوف بالقرميد، وإلى جانبه الشمالي والقبلي بئر وقبو، تواجه بوابته كنيسة مار روحانا، المشيدة على أنقاض برج قديم، وفي ظلها تتفيأ المقبرة النائم فيها من رقدوا بالرب على رجاء القيامة**))[١].

تجسد الأفعال السردية والتحديدات الوصفية في النص السابق عبر الانتقال بالوصف من الشخصية إلى المكان إذ يبدأ الوصف بتحديد الشخصية باسمها وبعدها الاجتماعي ومحل سكنها (الأرملة مارينا من عين كفاع) ثم ينتقل إلى وصف بيتها إذ إنه (علّية) ويبدأ بتفصيل هذا البيت من حيث عدد غرفه وسقفه وبئره وقبوه إلى أن يصل إلى تحديد المكان الذي يواجهه هذا البيت ألا وهو كنيسة (مار روحانا) وينتقل بعدها إلى وصف مكان آخر هو الكنيسة فيبين أنها شيدت على أنقاض برج قديم. ولا يكتفي الوصف إلى هذا الحد بل ينقل المتلقي إلى مكان ثالث هو المقبرة بتحديد مكانها بأنها في ظل الكنيسة. وعليه فقد انتقل الوصف من الشخصية إلى الأمكنة وجمعها بمكان واحد بكل وضوح.

وكان هذا التناوب الوصفي المتعدد في توظيف مستويات عدة لبيان العادات الاجتماعية والحياة الواقعية:((**وراح الشتاء وجاء الصيف. أقبل العروسان على الضيعة فكانت في دار الشيخ أبي شاكر أيام وليلات جرى فيها النبيذ وسال العرق. كانت تهب من كل فنجان زوبعة دعوات للدكتور وعروسه. وكان الدكتور وأبوه يردون الكيل كيلين. أما العروس فكانت غريبة عما يدور حولها. كانت تجهل الكثير من عبارات القرية وأجوبتها، فتنبري حماتها للجواب رادة عنها هجمات من يقصدون لها امتحاناً لزلاقة لسانها**))[٢]. إذ تظهر فعالية الوصف عبر الأفعال السردية الوصفية في الانتقال من وصف المحيط الخارجي من خلال الفصلين ذهاب الشتاء ومجيء الصيف. وبعدها يأتي وصف العروسين من حيث جهة إقبالهما ألا وهو (الضيعة) وبالتحديد في دار (الشيخ أبي شاكر) ويتدخل الوصف في بيان

(١) أحاديث القرية: ١٣.

(٢) المصدر نفسه: ٦٨– ٦٩.

العادات الاجتماعية والحياة الواقعية من حيث الفرح بالعروسين والشرب على شرفهما فضلاً عن الدعوات الكثيرة بالرفاه والسعادة، ولا يلبث أن يرد العريس وأبوه هذه التحايا بأكثر منها. ويصل الوصف إلى بيان موقف العروس من هذا الواقع فهي تحس بالغربة فضلاً عن جهلها بلغة سكان القرية، كما يضمن الوصف شخصية (الحماة) التي لا تريد أن تسجل عليها أهالي القرية أية نقطة ضعف فكانت بمثابة صمام أمان وقوة دفاعية عن زوجة أبنها عندما تود النسوة لإدخالها في كلام لترد عليه وينزلق لسانها بالكلام. وعليه انتقل الوصف من أوصاف المكان إلى الشخصيات وجمعها بمكان واحد بكل وضوح عبر الأفعال السردية والتحديدات الوصفية الدقيقة.

ج- الوصف الانتشاري:

يشكل الوصف الانتشاري البؤرة المركزية المضيئة التي تكشف تفاصيل الأحداث والفضاء الذي تدور فيه الشخصيات من خلال الأفعال السردية الوصفية ليعطي الوصف " للحبكة القصصية مزيدا من الأبعاد، ويبطل فعل الصدفة، ويحدد طبيعة الشخصيات، وكثيراً ما يجيء مضمون القصة من خلاله، ويمكن أن يستخدم الوصف لخلق إيقاع السرد، فهو عندما يلفت النظر إلى الوسط المحيط يحدث استرخاء، وترويحاً عن النفس بعد مرور الحدث، ويثير توتراً عندما يقطع السرد في لحظة حرجة"[1]. ليفسح المجال للشخصية في التعبير عن نفسها ((**وتذكر حادثته الطريئة مع (كبر عقلك) الناطور فتجرأ وضحك. ومشى وهو يتلفت خلفه ليرى إذا كان لا يراه أحد. ولما استوثق من الوحدة، قرب العجل من حائط على جانب الطريق ونط. ولكن.. ما رؤي على ظهره حتى كان بين أرجله، وهو يعركه بقرنيه. وأقبل المتآمرون لمواساة ضحيتهم. وللقرى ما للدول صليب أحمر، فتفرقوا فرقاً، هؤلاء يسعفون منصور المهشم، وأولئك يركضون وراء العجل الشارد، إلا واحداً لم**

(١) عالم الرواية، رولان بورنوف وريال اوئيليه، ترجمة: نهاد التكرلي، مراجعة: فؤاد التكرلي ود.محسن الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، بغداد، ١٩٩١م:٩٨. وينظر: الوصف في المملكة السوداء لمحمد خضير، د. فاطمة عيسى جاسم، مجلة التربية والعلم، البحوث الإنسانية والتربوية، العدد(٢٤)، لسنة ١٩٩٩: ٢٨.

يأت عملاً غير وقوفه عند رأس الخنوص وقوله: الحق معه.. هذا عجل.. التجربة أكبر برهان))[١].

وتكشف القراءة عن تلاحمٍ شديدٍ بين السرد والوصف عبر الأفعال: (تذكر، تجرأ، ضحك، مشى، يتلفت، يرى، يراع، أستوثق، قرب، نط، رؤي، يعركه، أقبل، تفرقوا، يسعفون، يركضون، يأتي) فالسارد يعمد إلى ترتيب السرد ترتيباً يتلاءم مع هذا الموقف الطريف ألا وهو شراء منصور للعجل وموقف المتآمرين من فعله إذ (ركبوه العجل) الذي أبى ذلك فشرد فما كان من المتآمرين إلا أن ركض بعضهم خلف الثور، والبعض الآخر اتجهوا إلى منصور، وما لبث أن كان أحدهم يعلن عن هذا الموقف. لتسهم الأفعال المتسلسلة في تشكيل الصورة الوصفية عبر الوصف الانتشاري الذي " من شأنه أن يرتفع بالصورة من مكانتها بحيث أن سيل النظرات سيجلوها من كلا جانبيها دون أن يترك أي شيء من شكلها المادي"[٢] ألا وهو تدخل جمهور الناس في مثل هذه القضية التي عرضت في النص الوصفي.

ومن الأمثلة الأخرى للوصف الانتشاري:((**دخلت أم شاكر بيتها وأسرجت، فالظلام سريع الخطى، والسنديانة تتماسك قدام بيت الشيخ حين تزعزعها العاصفة. ومصاريع الأبواب تصطك كأنما البيت مصاب بالبرداء، والسراج يحرك ألسنته كأنه يهزأ بالزوبعة. وكان الشيخ قابعاً في الزاوية...**))[٣].

يشكل هذا المقطع تداخلاً متلاحماً بين تقنيتي السرد والوصف عبر الأفعال (دخلت، أسرجت، تتماسك، تزعزعها، تصطك، يحرك، يهزأ) ليجد السارد أفقا مفتوحاً للإدلاء بدلوه عما يجد من هذا الموقف في ليالي الشتاء القارصة ولاسيما عند حلول المساء وتبرز من خلال الوصف شخصية (أم شاكر) التي قامت بأفعال عدة لمجابهة الظلام والبرد، فضلاً عن وصف الحالة والجو الذي يظهر في القصة من حيث العاصفة وتأثر الأبواب من شدتها.

---

(١) أحاديث القرية: ٤٧.

(٢) النزعة الحوارية في الرواية العربية، د. قيس كاظم الجنابي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠١١م: ٦.

(٣) ينظر: أحاديث القرية: ٦٦.

لتشكل الأفعال السردية صورة لمحادثة طبيعية عبر الوصف الانتشاري وهو الاحتياط للظلام والبرد من شخصية المرأة (أم شاكر) الخائفة على زوجها الشيخ القابع في زاوية من البيت وهو يلحظ العاصفة ويشعر بالبرد القارص.

المبحث الثاني: الوصف الحر

يتمظهر هذا النوع من الوصف بوصفه " فن توزيع المعلومات حول الأشياء، والذوات حسب نظام يلائم إستراتيجية يتبناها الراوي ليروي حكايته في زمن ومكان محددين"[١] إذ يبدو منفصلاً عن السرد في ظاهره إلا أنه يندمج معه في شكل مشهد قصير، أو لقطة موجزة، كأنه إقحام مفاجئ يوقف تسلسل السرد القصصي[٢] لأن الوصف آلية سكونية تدفع السرد أحياناً إلى الحركة ومن ثم ارتفاع وتيرة بنائه الفني، إذ يتطرق السرد " إلى الأحداث فيرتبط بأزمنتها، ويصطبغ بحيويتها، أما الوصف فيتطرق إلى الأشياء ويشاركها جمودها وسكونيتها"[٣] ويفسح هذا الوصف المجال للإسقاطات الذاتية للشخصيات عبر وصف إحساسه بالأشياء والأحداث أو تأثره العاطفي بها. ويظهر هذا الوصف في ثلاثة أنواع هي:

١- **الوصف الدال على انفعال داخلي:** يسعى الكاتب من خلال هذا الوصف إلى تصوير الانفعالات الداخلية التي تختلج نفسية الشخصية عبر تفاعلها مع الأحداث إذا يتم التعبير بوساطة المشهد عن الأحاسيس المرافقة لهذه الأحداث[٤] وبذلك نستطيع الكشف عن الأغوار الداخلية للشخصية من خلال أفعالها الخارجية التي تسهم في تأطير الشخصية بإطار مكاني تدور فيه الأحداث((**فأخذ الناس يهدئون ثورتها ويصبرونها على بلواها، وهي تثور كالقدر الهائج قاذفة اللعنات بالمئات والألوف من قلب مقروح، ولما شفت نفسها همدت... إزرقَّ**

(١) في نظرية الوصف الروائي، دراسة في الحدود والبنى المرفولوجية والدلالية، د. نجوى الرياحي القسنطيني، دار الفارابي، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م:١٧٢.

(٢) ينظر: وظيفة الوصف في الرواية: ٣٨.

(٣) في نظرية الوصف الروائي: ١٣٠.

(٤) ينظر: وظيفة الوصف في الرواية: ٣٩.

وجه مارينا وفاض على لسانها ما امتلأ به قلبها، وأعادت الكرة فامتلأ الجو سباباً وشتائم... وبعد أخذٍ وردٍ، أقنعوها فركبت الحمار دامعة... وسارت تبكي))[١].

يقدم النص الوصفي انفعالات مارينا من خلال ألفاظ عدة تدل على بعدها النفسي (ثورتها، بلواها، تثور، قاذفة اللعنات، قلب مقروح، شفت نفسها، همدت، إزرقَّ، فاض على لسانها، ما امتلأ قلبها، دامعة، تبكي) فالأرملة تعيل بنين وبنات بعد وفاة زوجها الذي توفي إثر موت ابنه الشاب يوسف بعد انتقاله إلى البيت الجديد وبما أن بيت الأرملة مقابل المقبرة فما أن وقع بصرها عليها حتى صرخت من إثر انفعالها وأسفها على زوجها جرجيس وإعالتها اليتامى، وترافق مع ذلك بما تظهره ألفاظ النص الوصفي همها وحسرتها الدائمتين، يستطيع أهل القرية أن يقنعوها بركوب الحمار للسفر إلى حيث تطالب بحقوق زوجها ولم يمنعها ذلك من البكاء الشديد دلالة على الحزن والضيق والأسف والهم الذي تحمله في صدرها.

ومن الأمثلة الأخرى الوصف الدال على انفعال داخلي: **((إذا دخل القرش عبه لا يقدر أحد أن يخرجه منه. حبس مؤبد. أمس طلب منه أخوه خمسة قروش فقامت قيامته... يتأمل البقر تحرث الحقول ويتفتت قلبه حسرات، ندم لأنه كسر فدانه...))**[٢].

يقدم النص الوصفي انفعالات شخصية منصور الفلاح الخبير بتنقية الأشجار المعروف بالشح والبخل كما يصفه النص من حبسه المؤبد للقرش بحيث لا يخرجه من عبه وليس باستطاعة احد من أصدقائه أو أقربائه أن يجعلوه يصرف هذا القرش. وتأتي ألفاظ عدة لتدل على البعد النفسي للشخصية (فقامت قيامته، ويتفتت قلبه حسرات، ندم) إذ تأثر منصور كثيراً وهدد بعدم كسر الفدان لأن حاله مثل حال الوقف الذي لا يمكن أن يقترب احد صوبه. وعليه جاشت نفسه ندماً وحسرات عندما رأى البقر تحرث الحقول وكاد يتفتت قلبه لأنه لم تقع عينه بعد على عجل يماشي البقرة الباقية عنده. ويصل منصور إلى الحيرة في اتخاذ القرار الملائم وهو أحد حلين إما أن يبيع البقرة ويشتري زوجاً ملائماً أو أن يفتش من جديد لعله يجد العجل. وهكذا تلقي الألفاظ ظلالها في تصوير البعد النفسي للشخصية بحيث تقدمه

(١) أحاديث القرية: ١٦– ١٧.

(٢) المصدر نفسه: ٤١.

على أنه فلاح بخيل لا تتجاوز همومه إلا هم بقرته والعجل الذي يختاره لها مما جعله متحسراً نادماً على ما كان من كسر فدانه.

٢- **الوصف الممهد للحدث:** الوصف الممهد للحدث هو " رصد للوقائع التي يفضي تلاحمها وتتابعها إلى تشكيل مادة حكائية تقوم على جملة من العناصر الفنية والتقنية والألسنية معاً"[١] ليكشف الحدث عبر الوصف موقف الشخصيات من الأحداث التي ينظمها السرد ليقدم جواً مناسباً للحدث من خلال تقديم أحداث وتأخير أخرى لإغراض جمالية يطمح من خلالها " إلى الارتفاع بالصورة الوصفية من مكانها لكي يتيح لها فرصة مسرحة العين الناظرة التي تهتم بوصف الشخصيات والأشياء والأمكنة حتى تصبح جاهزة على مسرح الأحداث"[٢] كما في المقطع السردي للحدث: **((وما استراح جرجيس من أعماله حتى تتالت عليه المصائب والبلايا، فلم ينعم طويلاً بهذا البيت فكأنما أعده ليموت فيه. توفاه الله فجأة صباح عيد الميلاد منذ سنين، وبعد وفاة ابنه يوسف الشاب بثلاثة أشهر، فترك زوجاً أرملة لها بنون وبنات قاصرون وقاصرات))**[٣].

يسعى المشهد الوصفي لاستشراف الأحداث القادمة عبر التحديدات الزمانية: (ما استراح من أعماله) و (تتالت عليه المصائب والبلايا) و (فلم ينعم طويلاً) و (توفاه الله فجأة) و(صباح عيد الميلاد) و (منذ سنين) و (وبعد وفاة ابنه) و (بثلاثة أشهر) وعليه وقع عبء البنين والبنات على أرملة جرجيس (مارينا) بعد أن توفى بوقت قصير من تعمير بيته إثر وفاة ابنه الشاب متحسراً عليه وبهذا يحدد النص الوصفي في نهايته بداية الأحداث المترتبة على وفاة رب الأسرة وما يأتي في القصة من أحداث تقوم بها الأرملة ما هي إلا لما مهد له السارد من وصف الحدث وهو سفرها لتطالب بحقوق زوجها عند كنيسة جبيل.

---

(١) ألف ليلة وليلة: دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد، د. عبد الملك مرتاض، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٩م: ١٩.

(٢) النزعة الحوارية في الرواية العربية: ٧.

(٣) أحاديث القرية: ١٤.

٣- **الوصف الدال على الحدث:** يتبنى الوصف مهمة سرد الأحداث المخبوءة عبر الجمل السردية الوصفية الدالة على الأحداث المرتبة في سياقه الزمني[١] ، مشكلاً الحدث العام من خلال وصف تفاعل الشخصيات مع الأحداث.

كما يشكل الوصف الدال على الحدث حركة الشخصيات:((**استيقظت مارينا مضنوكة كمن أفاق من غيبوبة، وأخذت تفرك عينيها متنهدة، فما صدقت أنها ترى أمامها أخاها زخيا، وما هدأ روعها حتى قصت عليه حلمها الرهيب**))[٢].

يعمل المقطع الوصفي على بيان الأحداث عبر حركة الشخصية وأفعالها (استيقظت، وأخذت تفرك عينيها متنهدة، هدأ روعها، قصت عليه حلمها) فالأرملة مارينا حلمت بأنها تطرح مشكلتها وقضيتها فيما يتعلق بعقار زوجها على البطريرك الحويك واندمجت مع الحلم كأنه حقيقة فلم تصدق نفسها عندما استيقظت من النوم أنها سترى أخيها وإنما توقعت أن ترى البطريرك يحل قضيتها لتتكفل بتربية أبنائها اليتامى، وما لبثت أن قصت حلمها الرهيب على أخيها فبدأت تبحث عن تأويل حلمها إلى أن وجدت الخوري يوسف الزناتي فبدأ بتفصيل تأويل حلمها الذي كان بعيداً عما فكرت به فهو يخص الشعب بأكمله بما يواجهه من الاحتلال الروماني. وعليه خابت مارينا في حلمها خيبتها في يقظتها.

ومما سبق أعطى الوصف مراحل الحدث من خلال الحلم وتأويله وما بعد ذلك للوصول إلى ما حدث للأرملة من خيبة أمل في استرداد عقار زوجها من الدولة بعد أن أزالت المحكمة يدها عنه. وعليه فقد وظفت القيم والمواقف والشخصيات من خلال هذا الوصف وصولاً إلى الحدث العام للقصة.

المبحث الثالث: الوصف التصنيفي

هو الوصف " الذي يحاول تجسيد الشيء بكل حذافيره، بعيداً عن المتلقي أو إحساسه بهذا الشيء"[٣] ، إذ يحاول هذا الوصف نقل الواقع ومحتوياته إلى القصة ليحدِّد من خلالها الإطار التفسيريّ للشخصيات؛ لذا يسمى بالوصف التفصيلي لأنه يكشف عن مكونات

(١) ينظر: وظيفة الوصف في الرواية: ٤٠.

(٢) أحاديث القرية: ٢٣.

(٣) بناء الرواية: ٨١.

الموصوف ولاسيما المكان وتأثيره في الشخصية[١]. ويقوم هذا النمط بذكر معظم أجزاء الموصوف لذلك تطول المقاطع الوصفية لتوحي " بأهمية المواقع التي تشغلها هذه الشخصيات في النص"[٢]. إذ يضفي المشهد الوصفي تفصيلات استقصائية عن الأرملة مارينا[٣] من خلال ما يأتي:

١- بيان اسم زوجها جرجيس يوسف عبود.

٢- جعلها زوجاً ثم أرملة لها بنون وبنات قاصرون وقاصرات بعد وفاة زوجها إثر وفاة ابنه الشاب يوسف.

٣- وجهها الكالح المجعد.

٤- قامتها الطويلة النحيلة.

٥- فستانها الأسود البسيط الطويل الفضفاض.

٦- ثورتها وغضبها وحسرتها على حالها.

وعليه فقد فصل الوصف شخصية الأرملة مارينا من حيث بعدها الاجتماعي والخارجي والنفسي إذ إنها زوجة وأم ومن ثم أرملة. وقد بدا التعب على وجهها الذي يظهر تألمها على الحال التي وصلت إليها بعد أن ترك زوجها بذمتها بنين وبنات لتعيلهم حتى يكبروا.

كما يمنح النص للشخصيات صفات تتناسب مع المعطيات العمرية التي تقتضي وصفاً خارجياً تشتغل عليه مخيلة القارئ عبر تفصيلات استقصائية عن شخصية سعيد[٤] من حيث أبعاده في المسائل الآتية:

١- تحديد عمره في العقد الرابع.

٢- عظيم البطن كأنه حامل.

٣- وجهه منتفخ كالرغيف الساخن.

٤- صغر أنفه الذي كالفستقة.

---

(١) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق (الوصف وبناء المكان)، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد، ١٩٨٨م: ١٣٢.

(٢) أبحاث في النص الروائي العربي، د. سامي سويدان، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦م: ١٤٤.

(٣) ينظر: أحاديث القرية: ١٤- ١٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤٩- ٥٠.

٥- مربوع القامة.

٦- لون بؤبو عينه الأسود.

٧- الحاجبان العريضان المتصافحان عند سفح الجبهة الضيقة.

٨- فكه الأعلى نافر يقفز بغنج إلى الأمام.

٩- الشاربان الهزيلان.

ويفصل الوصف في البعد الخارجي كثيراً ولا يكتفي بما قدمه فيتحول إلى وصف ملابسه من الغنباز إلى الحلة الفرنجية إلى أن يصل إلى بيان بعده الفكري بما يملكه من علم إذ علمه الدهر ما لا تعلمه عشرات المدارس في عشرات السنين فالعلم اختبار وتجارب. أما بعده النفسي فيبرز من خلال تغنيه بحلاوة فمه واهتمامه العنيف بنفسه والمباهاة بذلك أمام الآخرين، ولكن ما يلبث أن يسكت بسبب تأثره من حاجبيه العريضين عن سطح جبهته الضيقة فضلاً عن شكوكه في زوجه فيتصور أنها تخونه من كلمات يأولها يسمعها على لسان جارته. أما بعده الاجتماعي فيبدو من خلال اهتمامه بالسياسة ومعرفته برجالاتها بعيداً عن التحدث مع المزارعين. وعليه يسعى الوصف إلى التصنيف في شخصية سعيد من كافة أبعادها الخارجية والفكرية والنفسية والاجتماعية.

وقد استمرت هذه العملية الاستقصائية للحدث ولاسيما حادثة شراء منصور للعجل[١] من خلال الأحداث الآتية:

١- التوكأ على عصا زعرور ذات عقد تسمى بعصا الكلاب والخروج من الضيعة.

٢- السؤال عن مواصفات العجل من كل فلاح يمر به أو يرتده إلى ما رأى وشاهد.

٣- التأمل في سوء المصير وحساب المستقبل والتوكل على الله تعالى في إيجاد عجل يشتريه في وقت لا يبيع فيه أي فلاح عجله أي بدء الربيع إلا إذا كان فيه عيب.

٤- بلوغ مفترق الطرق والتحير في الذهاب إلى قريتي جاج أو مشمش.

٥- استراحة قليلة لتناول الطعام والشراب.

٦- دخول قرية جاج للسؤال عن العجل المطلوب واقتناعه بواحد ولكنه وجد سعره غالياً.

٧- ترك قرية جاج إلى ترتج لإيجاد عجل على وفق المواصفات وما وضعه من السعر في ذهنه.

---

(١) ينظر: أحاديث القرية: ٤٥- ٤٧.

٨- دخوله قرية جاج بعد أن اشترى عجلاً اسود اللون ذا قرنين معقوفين في جبهته نكتة بيضاء.
٩- بلوغه ساحة القرية ولقائه برجال كثيرين مختلفين في السن شيوخاً وكهولاً وشباناً.
١٠- تساقط أسئلة الحاضرين من كل فج على منصور لإبداء كل واحد رأيه في العجل.
١١- ترك منصور للرجال وتذكره وصية والدته (لا تصدق ما لم تجرب).
١٢- مشيه من أمام (الناطور) ضاحكاً.
١٣- مجيء المتآمرين لمواساة الضحية منصور.

ترسم لنا الأحداث عما يحمله منصور من تحدٍ صارم لكل الأقوال واقتناعه برأيه من خلال شراء العجل فضلاً عما تتميز به هذه الشخصية من ظل ومرح للقضاء على مشكلته في إيجاد عجل لبقرته الوحيدة ليماشيها.

كما يحدد الوصف طبيعة الحدث ويصور الشخصية بما تحمله من محتويات نفسية وأخلاقية عبر الأفعال التي قامت بها الست اسما عندما التقت بأم شاكر[1] من خلال تصوير الأحداث الآتية:

١- هتافها من بعيد عندما أبصرت أم شاكر عن ابنها والتأكد من زواجه في المدينة ولومها على عدم مشورته لأمه قبل الزواج.
٢- تصفيقها بعد أن سمعت مدح أم شاكر لزوج ابنها ومحاولة إقناعها بأنها قد غشت فيها.
٣- مدت يدها لتصافح أم شاكر وانطوت عليها توشوشها.

ولا يكتفي الوصف إلى هذا الحد بل يبدأ بتفصيل ما قامت به أم شاكر من خلال الأحداث الآتية:

١- تجريحها بشهادة الست اسما، والدفاع عن ابنها وزوجه في ذهنها.
٢- التقائها بامرأة أخرى تضاحكها من بعيد وتقول: ساعة مباركة يا شيخه.
٣- هزت رأسها وأصفر وجهها لاستقبال صدمة جديدة من قول أم يوسف.
٤- أطمأن قلبها عندما سمعت التهنئة وكلمات المدح من أم يوسف.
٥- حمدت الله تعالى ومضت بسلام إلى بيتها.

تكشف الأحداث عما تحمله شخصية المرأة من أوجه في طريقة السؤال وطرح المسائل وكيفية الدفاع عن وجهات النظر من الهتاف والتصفيق والتجريح وهز الرأس وما إلى ذلك.

(١) ينظر: أحاديث القرية: ٦٥- ٦٦.

وقد ينفتح الوصف التصنيفي للمكان تفصيلات استقصائية " تتماثل مع اللوحة التشكيلية، بيد أن الصورة الوصفية، فضلاً عن تقديمها الأبعاد الطبوغرافية للمكان المرصود فإنها – وهذه ميزتها– تقبض على الأصوات والروائح، أي الحسي غير المرئي في المكان وهذا ما يعجز عنه الفن التشكيلي"[١] كما في وصف قرية (عين كفاع)[٢] عبر التفاصيل الآتية:

١- قرية متواضعة قائمة على رابية بين الجبال.

٢- تطل القرية على البحر من الجهة الشمالية إذ يمتد نهر شتوي طويل متعرّج.

٣- في الجبال المنتصبة حول عين كفاع مغاور عديدة مفتحة الأشداق.

٤- من أشهر المغارات سيدة القطين التي كانت ديراً للحبساء الأبرار ولا تزال آثاره قائمة.

٥- أمام القرية شرقاً سهل صغير مقعر يسمى بالوطا.

٦- أشجار الزيتون والتين والسفرجل والأجاص.

٧- ادواح سنديان وعفص وبطم تتعرش عليها الكرمة.

٨- يتصل السهل بوادٍ غرباً يمتد حتى يتصل بالنهر الشتوي المسمى بالمدفون لاختفائه بين الجبال حتى لا تُرى.

٩- عين كفاع جزيرة بربة لا يدخلها قادم إلا من الجهة الشرقية فكأنها حصن طبيعي.

١٠- بيت جرجيس يوسف عبود زوج مارينا يكون البيت الثاني عند دخول القرية من بابها الشرقي الشمالي.

وعليه قدم الوصف تفصيلات استقصائية من حيث موقعها الجغرافي وما تطل عليه فضلاً عن جبالها ومغاراتها وسهلها ووديانها. ويلقي الوصف ظلاله على القرية بكونها جميلة ورائعة المنظر والموقع وتوحي بالراحة والأمان والاطمئنان.

ومن الأمثلة الأخرى الوصف التصنيفي للمكان ما قدمه القاص من تفصيلات استقصائية عن بيت الشدياق اسطفان[٣] عبر الجزئيات التفصيلية الآتية:

١- بيت عتيق فيه فراش ممدود.

---

(١) المكان وإستراتيجية الوصف في النص الروائي، خالد حسين، مجلة المعرفة العدد (٤٣٧) لسنة ٢٠٠٠م: ٢٢٠.

(٢) ينظر: أحاديث القرية: ١٣– ١٤.

(٣) ينظر: أحاديث القرية: ٢٧.

٢- بيت لبناني قائم سقفه على ثلاث قناطر.

٣- رف خشبي وضعت عليه قوارير فخارية مختلفة الأشكال، وشماعدين وثريات وسرج، وقناديل فضية أمام صور وأيقونات وصلبان ومسابح تشغل أربعة اذرع طولاً في أربعة عرضاً.

٤- في الفراش هيكل بشري ما فيه إلا العظم والروح والجلد.

وعليه جاء وصف بيت الشدياق بشيء من التصنيف من حيث طريقته في البناء ومن حيث القناطر فضلاً عن وصف أجزائه من الرف الخشبي وما يحويه، وفراش الشدياق. ويلقي الوصف ظلاله على ما يوحي به البيت من قدم البناء بديكوره ومحتوياته.

ويشكل الوصف المكان الذي تتحرك فيه الشخصيات بوصفه " المقام الأول في تقانة الوصف القصصي، لما للمكان من اثر عميق في تشكيل البنية التحتية للقصة، فهو الأرضية الظاهرة التي تجري عليها أحداث القصة "[١] إذ يسعى الراوي إلى تقديم تفصيلات استقصائية عن قرية غال[٢] إذ يضعنا أمام جزئيات في غاية الدقة والتفصيل:

١- غال قرية لاطية في لحف جبل.

٢- قبة كنيستها الشامخة.

٣- بيوت القرية في ظلال الأشجار صيفاً وشتاءً ولا ترى بيوتها الشمس بالمرة حين يقصر عمر النهار.

٤- قرية غزيرة المياه.

٥- كثرة أشجار التين والزيتون والمشمش والتوت.

ولا يكتفي الوصف بهذا فحسب بل يصف أحدى بيوتها الضخمة تفصيلاً دقيقاً:

١- بيت ضخم بالنسبة إلى البيوت الأخرى المتواضعة.

٢- يتألف البيت من ثلاث غرف قائمة لصق بيت طويل عريض.

٣- سقف البيت خشبي على قناطر معمدة.

---

(١) مرايا وجماليات الخطاب القصصي (قراءة في قصص عبد الإله عبد القادر)، د. محمد صابر عبيد، و د. سوسن هادي البياتي، دار العين للنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٨م: ٦٩.

(٢) ينظر: أحاديث القرية: ٥٥- ٥٦.

٤- يسهر جمهور القرية في هذا البيت الواسع مصطلين بناره التي لا تطفأ.

٥- تسكن البيت عجوز في التسعين من عمرها.

٦- الغرفة الأولى تسمى بـــ (الصالون) وان كانت لا تتسع لعشرة أشخاص.

٧- الغرفة الثانية لمنامة الخوري البتول وحده.

ولا يقتصر الوصف التصنيفي على تقديم الشخصية بل يتعدى إلى تقديم مظهرها الخارجي عبر وصف تفصيلات عن فستان الأرملة مارينا[١] وبما أن الراوي يسعى للتفصيل في وصف الشخصية والحدث والمكان فهو أيضاً يفصل في وصف الأشياء ولاسيما فستان الأرملة مارينا لإكمال وصف أبعاد الشخصية من خلال تحديد لونه (أسود) ومظهره (بسيط) وطوله (طويل) وعرضه (فضفاض) وهيئته بأنه مشدود على خصر مارينا النحيل " فالصورة التي ترسم شكل الشخصيات وتصف ملابسهم وأدواتهم وأثاث بيوتهم تكشف عن تركيبهم النفسي"[٢] لتسهم في تسيير الأحداث على وفق الخطاطة التي يرسمها القاص عبر تقانة الوصف التصنيفي للشيء ما قدمه الراوي من تفصيلات عن ملابس الشدياق[٣] إذ يأتي التفصيل في بعده الخارجي من خلال الملابس:

١- الغنباز الأسود المقلم الذي أخذت السنين شيئاً من لونه وأصبح خاوياً بعض الشيء عن بطانته البيضاء.

٢- الرداء الذي تجمع فيه الشدياق عن يمين وعن شمال.

٣- الفروة الممدة على رقبته.

وتعطي التصنيفات في الملابس دلالة على عمر الشدياق إذ إنه رجل مسن قد بلغ التسعين من عمره، ويخاف على نفسه من البرد مما دعاه إلى هذا اللباس المتعدد الثقيل من رداء وفروة وما إلى ذلك .

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٥– ١٦.

(٢) نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشروق، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م: ٢٩٥.

(٣) ينظر: أحاديث القرية: ٢٩.

المبحث الرابع: الوصف التعبيري

يرتكز هذا الوصف على وقع الشيء وما يثيره من الإحساس في نفس الذي يتلقاه، إذ يقوم على مبدأ الإيحاء والتلميح[١] معتمداً على الجمل الوصفية القصيرة التي لا تحتوي إلا بعض التراكيب الوصفية التي تعمل على تشكيل (الشخصية) ورسم ملامحها الخارجية من دون الولوج إلى التفصيلات الدقيقة؛ لذا يسمى بالوصف الإجمالي أو الانتقالي[٢] الذي يسهم في الكشف عن واقع الشخصية:((**وأخذ الشدياق ينسحب من تحت لحافه رويداً رويداً، وبعد جهد قعد في فراشه فبدأ، حين تكّوم، كأنه كرسي عمود في قلعة متهدمة**))[٣].

يصور النص الوصفي السابق الشخصية إجمالاً وانتقاءً بما يميزها عبر البعد الخارجي للشدياق بوصفه رجل مسن جداً ومقعد في فراشه ولا يقوى على الحركة إلا قليلاً فبعد كثير من الجهد استطاع القعود لأداء الصلاة ومما يدل على كبر سنه تعبير الوصف (تكّوم كأنه كرسي عمود في قلعة متهدمة) فهو لا يستطيع عمل أي جهد ولكن إصراره يجعله يقوي نفسه على الرغم من تعبه الشديد.

وقد يسعى الوصف التعبيري إلى تصوير شخصيات ذات مستويات عمرية متباينة كما في المقطع الوصفي:((**وبلغ ساحة القرية فلقي رجالاً كثيرين، شيوخاً وكهولاً وشباناً فاستوقفوه. وتساقطت عليه الأسئلة من كل فج**))[٤].

يعطي البعد الوصفي السابق أوصافاً مجملة بعيدة عن التحديد لشخصيات متعددة إذ يصفهم بكونهم (رجالاً كثيرين) ويوضح أعمارهم بثلاث كلمات فقط: شيوخً، وكهولً، وشبانً، للدلالة على مشاركة جميع الرجال بأعمار مختلفة بالسؤال وإبداء الرأي عن شراء العجل.

---

(١) ينظر: بناء الرواية: ٨١.

(٢) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق: ٢٣.

(٣) أحاديث القرية: ٢٨.

(٤) المصدر نفسه: ٤٦.

ويكتنظ الوصف التعبيري للحدث مع وصف الشخصية: ((**السماء تتوعد وتتهدد، غيوم تحشد على حدود اليابسة إعلاناً لحرب عوان، فكل ما على الأرض يرتجف ويرتعد، والغنم هرولت إلى المراح بدون إذن الراعي**))[١].

يقدم الوصف الحدث بشكل تعبيري للدلالة على ما سيحدث من اثر توعد السماء وتهددها وتحشد الغيوم إذا إنه ستحدث الحرب التي ستجعل السكان يرتجفون، وليس هذا فحسب بل إنّ الغنم تهرول بسرعة خوفاً على نفسها، وإذا بدأ الوصف تصنيفياً من خلال ما سيحدث فإن وصف السماء والغيوم جاء تلميحاً خاطفاً للتعبير عن الدلالة بما سيحدث في هذا الكون الفسيح.

كما يتجسد الوصف التعبيري للمكان: ((**فغال قرية لاطية في لحف جبل، تنظر إليها من عين كفاع فلا ترى إلا قبة كنيستها الشامخة – اليوم– كأنها أصبع جبارة تؤميء بها إلى الأعالي**))[٢].

يعطي النص الوصفي للمكان دلالة دينية فالمكان الموصوف بيت تؤدى فيه العبادة للنصارى هو (الكنيسة) ويقتصر الوصف على بيان القبة الشامخة للكنيسة فحسب بما تحويه من طلب أرقى ما يمكن من أداء العبادة بدلالة الشموخ للقبة الذي يرمز للأعالي.

وينفتح الوصف التعبيري لوصف الأشياء: ((**الساعة المعلقة على الحائط تدق الواحدة بعد نصف الليل**))[٣].

جاء وصف الساعة تعبيرياً من خلال ذكر تعليقها على الحائط أي أنها ساعة جدارية تشير إلى الواحدة ليلاً بما يرتبط مع هذا الوقت من أحداث في زمن القصة إذ يرتقب سعيد فرصة مواتية للنيل من زوجه التي شك فيها كما توحي الساعة من خلال مراقبة الوقت فيها دلالة على الزمن النفسي البطيء للذي يراقب الموقف.

---

(١) أحاديث القرية: ٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ٥٥.

(٣) المصدر نفسه: ٥١.

خاتمة البحث ونتائجه:

❖ يكتظ السرد الوصفي بالمقاطع السردية التي تحتوي على أوصاف للشخصيات والأمكنة والأحداث عبر الأفعال السردية والتحديدات الدالة على الوصف.

❖ يقوم الوصف البسيط على الجمل القصيرة المتفاعلة مع بقية العناصر السردية للإشارة إلى المرأة الطاعنة في السن من نساء قرية عين كفاع أو شخصية منصور الفلاح الخبير بتنقية الأشجار.

❖ يتجسد الوصف المركب عبر بيان مرتسمات الشيء الموصوف من الزاوية المختلفة في المكان نفسه كالتركيز على وصف بيت الأرملة مارينا وبما يواجهه من الكنيسة وما يتفيأ بظلالها من المقبرة. أو الانتقال من وصف المحيط الخارجي إلى الشخصيات من خلال الأفعال السردية والتحديدات الوصفية.

❖ في حين ينقل الوصف الانتشاري الصور الوصفية المتعددة كالتحول من شخصية منصور الفلاح إلى شخصيات المتآمرين وأفعالهم وصولاً إلى الرجل الذي لم يفعل أي شيء سوى ملاحظة الموقف والتعليق عليه أو ما قامت به أم شاكر من خلال أفعالها استعداداً للظلام والبرد.

❖ يتكئ الوصف الحر في تقديمه المشهد الوصفي مفارقاً للسرد من خلال ثلاثة مستويات هي: الوصف الدال على انفعال داخلي من حيث البعد النفسي لشخصية الأرملة مارينا وشخصية منصور الفلاح. ويأتي الوصف الممهد للحدث في مقاطع وصفية قليلة في القصص ولاسيما ما يحدده الوصف من بدء الأحداث المترتبة على حياة الأرملة مارينا بعد وفاة زوجها وتركه لها أبناء قاصرين. في حين يوظف الوصف الدال على الحدث القيم والشخصيات والمواقف منذ استيقاظ الأرملة مارينا من حلمها الذي توقعت انه الحقيقة لمعالجة مشكلة عقار زوجها، وعليه خابت في حلمها خيبتها في يقظتها.

❖ يتمحور الوصف التصنيفي من خلال إعطاء المعلومات الدقيقة عن الأشياء الموصوف كالشخصيات والأحداث فضلاً عن الفضاء الذي يدور فيه الحدث. ومن ذلك وصف البعد الاجتماعي والخارجي لشخصية مارينا فضلاً عن إضافة وصف البعد الفكري إليها فيما يتعلق بشخصية سعيد. فضلاً عن الوصف التصنيفي للحدث ما قام به منصور من أفعال في

حادثة شرائه للعجل، وما قامت به الست اسما من أفعال عند التقائها بأم شاكر ومن ثم ما قامت به نفسها من أفعال مع نساء أخريات. كما جاء وصف المكان ولاسيما قرية عين كفاع من حيث موقعها الجغرافي وما تطل عليه فضلاً عن جزيئاتها الأخرى فضلاً عن وصف بيت الشدياق اسطفان وتقديم تفصيلات استقصائية عن قرية غال وإحدى بيوتها الفخمة المعروفة. كما جاء وصف الأشياء ولاسيما فستان الأرملة مارينا وملابس الشدياق.

❖ يتشكل الوصف التعبيري عبر الجمل الوصفية القصيرة فاسحاً المجال لأفق المتلقي لرسم وتشكيل الأجزاء الأخرى للموصوف، كوصف شخصية الشدياق الرجل المسن في العمر، والوصف البعيد عن التحديد لشخصيات متعددة من الرجال الكثيرين بثلاث مفردات فقط (شيوخاً، وكهولاً، وشباناً) والتعبير عن حدث توعد السماء والغيوم بما سيحدث في هذا الكون الفسيح. والتعبير عن المكان ولاسيما كنيسة قرية غال للدلالة الدينية التي ترمز إلى طلب أرقى ما يمكن من أداء العبادة بدلالة الشموخ للقبة التي ترمز للأعالي. في حين يأتي وصف الشيء تعبيرياً كما في الساعة التي تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل إذ تدل على الزمن النفسي البطيء للذي يراقب الموقف.

Description in The Stories (Village Talks) by Maroon Abud

Lect.Dr.Bassam Khalf Sleiman Al-Hamdani*

Abstract

The Lebanese Artist Maroon Abud is Chosen as domain of This research, because his stories have cohesive artistically techniques, among which is description. Moreover, his stories have descriptive Parts with different shapes and expressions. For this reason, this research is concerned with the analysis of descriptive parts clarifying the artistic and esthetic dimensions, and revealing The meanings resulting.

This research is divided into an introduction and four ports. The introduction specifies the description concept, its function, and its relation with narration. The first part of the research deals with the study of description confined by narration which includes the description narration and the description directed by narration with its three types: simple description. compound description, and separated description.

The second part tackles the description including description related with internal emotions, and description referring to action. The third and fourth part are specified for the study of the classifying and expression description.